مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (3) January 2022 العدد (3) يناير 2022

مقال مراجعة: قراءة في كتاب السرد والحياة للباحث محمد حاجم

الدكتورة سعاد شاكر شناوة
كلية التربية للعلوم الانسانية ـ جامعة المثنى
العراق

Review Article: A Reading in the Book of Narration and Life by the researcher Muhammad Hajim

Dr. Suad Shaker Shenawa
College of Education for Human Sciences
Al-Muthanna University
Iraq

مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (3) January 2022 العدد (3) يناير 2022

يناقش الباحث مساحة إفاقة الوعي الاجتماعي عبر الرواية بوصفها مقتربا نصيا، يعالج الفكر الاجتماعي، ويحاور التلقي إنطلاقا من أن هيكلية السرد تؤسس لمفاهيم اجتماعية، وتناقش في الوقت نفسه مفاهيم أخرى، وقد اختار هذه الرؤية، وسجلها، وأضفى عليها ثنائية التأثر والتأثير في بيئة ثقافية مهمة، هي المنجز الروائي في محافظة ذي قار، عبر المنهج السوسيولوجي، سائحا من النص الى الواقع، باحثا عن التداخل بين التاريخ،والايديولوجيا، مفيدا من محاولات النقد الماركسي للأدب، وأطروحات لوكاتش ولوسيان كولدمان.

التمسَ الباحث لتلك المقاربة منهاجية متكونة من ثلاثة فصول، وتمهيد، وناقش في التمهيد بعض المفاهيم، التي يتأسس عليها البحث، من قبيل السوسيولوجيا بوصفها مفهوما اجتماعيا متطورا، وقد قيل عنها هي علم الاجتماع بذاته، بمعنى الدراسة العلمية للمجتمع.

وتوجه الباحث محمد حاجم نحو تبيان المفهوم الثاني وهو سوسيولوجيا الأدب، وقبل النفاذ إلى مفهومه مهد له بمقولتين مهمتين، الأولى الفن للفن، والأخرى الفن للمجتمع، تتحرك الأولى في ضوء القابلية الجمالية حصرا، وتنطلق الأخرى من دراسة المؤثرات الخارجية، والمرجعيات التاريخية والاجتماعية بمعية الجمالي والفني في النص؛ لينضج لدينا اتجاه يسمى دراسة سوسيولوجيا الأدب، أي دراسة اجتماعية للأدب، تؤكد التفاعل المستمر بين الأعمال الأدبية والمجتمع، فكانت الروايات واحدة من تلك الأجناس الأدبية التي احتوت الحياة بتفاصيلها المتنوعة؛ إذ يقول الباحث محمد حاجم: ((ونظرا لقدرة الرواية على استيعاب أكبر قدر من الأفكار عند الكاتب، فقد أخذ الحديث في النصوص الروائية يتسع ليشمل الحياة بجزئياتها كافة، وذلك من وجهة نظر الكاتب، فالرواية عالم واسع من العلاقات المتشابكة، التي تعالج التفاعلات والصراعات المستمرة، والقضايا المهمة، والمتغيرات الكبيرة، التي تحدث على مستوى البنية الاجتماعية))[1].

وقد يصطدم الباحث بجدار صلد حينما يقدم فرضيته التي تقر بالانعكاسية، وهذا الجدار هو انفلات الهدف الاساسي في الرواية والبحث سمتها الاساسية، وواجبها الرئيس، المتمثل بالفن والمتعة، ولكنه يجيب عن ذلك، معتمدا على رأي الدكتور عبد الحميد الحسامي: ((كل تلك المحاولات التي قامت على ربط الرواية بالواقع الاجتماعي، لا تلغي سمات الرواية الأساسية، فهي تظل فنا يتماشى مع الواقع، لكنها لا تستنسخه، وتنطلق منه لكنها لا تتجاوزه، تحمل لنا وشم العصر، وطابع المجتمع، وحساسية المرحلة، لكنها تظل تدهش وتستشرف وتتخيل، فإذا استنسخت الواقع سقطت من سماء الفن.... وتاهت في أدغال التجريب الشكلي، وأضحت جسدا بلا روح، ونفقت عقب الميلاد، ولهذا يتطلب النص الروائي توازنا منطقيا بين فنية عالية يبتغيها المتخيل، وموضوعية منطقية في ربط الأحداث تتكشف من ورائها خيوط الواقع، وترسم صورة للحياة))[2].

وفي المنزع الأخير من التمهيد يعرض الباحث مسار البحث التطبيقي الكائن في الرواية الذي قارية، التي تأثرت بالمراحل التاريخية، والتقلبات السياسية، معرجا على بداياتها على يد عبد الرحمن الربيعي، وصولا الى المنعرج السياسي في التسعينيات، وبوادر الأزمة، والانكسار الفكري، ثم مرحلو سقوط الحكم المستهتر المتمثل بصدام حسين.

[1] السرد والحياة قراءة سوسيوثقافية للرواية العراقية في ذي قار، محمد حاجم، منشورات أحمد المالكي، 2020م، ط1: 19.
[2] نفسه: 23.

مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (3) January 2022 العدد (3) يناير 2022

عقد الفصل من كتابه بعنوان : الواقع الاجتماعي وتمظهراته في المنجز الروائي، وجاء المبحث الاول بعنوان المروي والعلاقات السوسيو- ثقافية، مجيلا النظر في ذاكرة المكان، وتمظهراته في الرواية الذي قارية، من قبيل مجتمع المدينة،وتحدياته الاجتماعية، ثم مجتمع الريف، وتصويره في الرواية الذيقارية، وقد ينتمي هذا المبحث الى عناصر السرد بصورة عامة، ولاسيما عنصر المكان، بحضور السوسيو ثقافي بصورته العامة، أكثر من الخاصة، والمبحث الثاني بعنوان المروي والعلاقات السوسيو- سياسية، يقوم على علاقة الرواية بتوجهات السلطة الحاكمة، والبحث عن قيم السياسة في الرواية الذيقارية، فيقول عن ذلك : ((وبما أن الرواية هي صورة معدلة عن الواقع الاجتماعي في البلد وصورة معدِّلة له، بوصفها مكمنا حقيقيا للأفكار وأداة فاعلة في زيادة الوعي الإنساني، فقد تعاملت مع الظروف السياسية التي واجهها المجتمع، مستعرضة بذلك أزمة السلطات الحاكمة [وتداعيتها][3]، ومعالجة الكيفية التي كانت تحكم علاقة الحاكم بالمحكومين من شعبه، ونظرا لحضور الرواية المميز في الواقع المجتمعي المعيش فقد اصبحت طاقة سياسية واجتماعية هامة تعبر عن روح الامة ومشكلاتها وطموحاتها))[4] .

مما يلحظ على هذا المبحث انه سوسيو- سياسي، وكأنه دخيل على السوسيو- ثقافي بلحاظ العنوان الرئيس للرسالة، وقد يشفع له تواجد العلاقة بين الثقافي والسياسي، فضلا عن عمومية العنوان في الفصل كله، اذ ينجز عنوانا عاما (الواقع الاجتماعي وتمظهراته) ويشتغل الباحث على المروي له وعلاقاته، بوصفه ركنا أساسيا من أركان الفصل الروائي.

ويظهر الفصل الثاني ليدرس (عوامل التحول الاجتماعي في المنجز الروائي) ، يناقش في المبحث الاول عامل الحرب، لانه من أخطرالظواهر التي تبتلي بها المجتمعات ((احتلت الحرب مكانة لا يستهان بها في الخطاب الروائي في العراق؛ لكثرة ما تحتفظ به الذاكرة الجمعية لتلك الحروب، وما قاسته المجتمعات من ويلات عظيمة ومأساة كبيرة انعكست على الواقع اليومي))[5].

ثم يناقش في المبحث الثاني موضوع الحصار، الحكاية المرعبة في تاريخ العراق، ويقتنع الباحث محمد حاجم بان الظرف الاقتصادي لا يؤثر سلبا وايجابا على الحالة الاجتماعية فقط، بل ينتقلالى غيرها من البنيات مثل بنية السياسة، وبنية الثقافة: ((ولابد من الإقرار بأمر مهم يتمثل في أن تأثير العوامل الاقتصادية لا يقتصر على الجوانب الاجتماعية فقط، بل لها من الامتدادات ما يجعلها تؤثر على البنية الثقافية، بجوانبها كافة ليتأثر الادب عموما والرواية على وجه الخصوص بما افرزته من واقع مؤلم،...))[6].

ثم يأتي المبحث الثالث بموضوع بعيد عن دائرة الموضوعين السابقين فكان بعنوان: الصراع ..الوقوع في قعر الهاوية، ويقصد به الصراع بين الرغبات، والمصالح، والرؤى والأفكار، بوصفه ظاهرة انسانية تتوزع على مستويات متعددة، ((وهذا معناه أن هذه الظاهرة على مقدار من الخطر ما يجعلها مرآة عاكسة لكثير من التفاعلات الاجتماعية، وتبرز بسببها توجهات الجماعات المختلفة، فضلا عن أنها سبب رئيس في نشوب

[3] وردت خطا في الكتاب.
[4] السرد والحياة: 69.
[5] السرد والحياة: 101.
[6] نفسه: 122.

مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (3) January 2022 العدد (3) يناير 2022

النزاعات المدمرة))[7]، ويناقش في هذا المبحث حالتين من الصراع، حالة الصراع الفكري، وحالة الصراع الطائفي؛ لانهما الأكثر استدعاء من قبل الرواة.

ويندرج الفصل الثالث بالانتماء الى المسار السوسيولوجي ، بعيد عن المسار السوسيو-ثقافي، فيكون بعنوان : تمثلات الشخصية الروائية على وفق المستوى السوسيولوجي، ينتظم المبحث الاول منه بعنوان: المثقف وتحديات الوعي الاجتماعي، ليدرس قيمة المثقف في المجتمع، أي المثقف المنتمي والمثقف اللامنتمي، ومدى ارتباطهما بالنسق الاجتماعي.

ويسلط الضوء محمد حاجم على الشخصية الريفية في المبحث الثاني، فيظهر عنوان المبحث: الريفي والأنساق المضادة، فيستعرض حضور تلك الشخصية في الروايات موضع الدراسة ، ودراسة الوجهة التقليدية فيالشخصية الريفية، والوجهة القائمة على التحول، والتغير فيها.

ليصل بعد ذلك الى المبحث الثالث ، ويسجل حضور المراة في الرواية الذي قارية بعنوان : المراة وأنساق الذكورة المتحكمة، يتم النظر فيه إلى ان المرأة ليس تعبيرا عن العجز والقصور، والعار، والعورة، بل هي صاحبة صورة عكس الترسبات التي اكتسبت شرعيتها من العادات والتقاليد.

والمبحث الأخير يكون بعنوان : رجل الدين وحدود الظاهرة الدينية، بوصفه شخصية حاضرة في التكوين الروائي: ((فإننا ننطلق من إبراز حضور هذه الشخصية على المستوى السوسيولوجي المكون للعقلية الروائية))[8]. ويقسم الشخصية الدينية في كتابه على قسمين، رجل الدين غير المنتمي، رجل الدين المنتمي، لكنه لم يوضح الى أي يكون الانتماء! ولعله يريد الانتماء إلى المجتمع وعدم الانتماء إليه، وهذا ما يفهم من معالجاته الداخلية لحضور شخصية رجل الدين في الروايات موضوع الدراسة.

سبرت هذه الدراسة أغوار المجتمع في المنجز الروائي في ذي قار، واختار الباحث عددا من الروايات، ومنها بطن صالحة للكاتب علي الزيدي، وخريطة كاسترو، وذيل النجمة، وفندق كويستان، للكاتب خضير فليح الزيدي، وذاكرة الوجع للكاتب صباح مطر، والزهر الشقي، للكاتب عزيز السيد جاسم، ونحيب الرافدين، والوشم، والقمر والاسوار، للكاتب عبد الرحمن مجيد الربيعي، وميرمان، لابراهيم الغالبي، وممر الى الضفة الاخرى للكاتب احمد الباقري، وكوثاريا للكاتب نعيم ال مسافر، ومواسم العطش للكاتب حسين عبد الخضر، وترسو المراكب للكاتب كاظم الحصيني، وغيرها من الروايات التي تمثل الطراز الجنوبي في العراق، ولعل هذه التعدد ما أثقل كاهل البحث ووسمه بسمة الاتساع، والتكبير بموضوعه وعينته، اذ يفضل ان يختار كاتبا واحدا، مثل عبد الرحمن الربيعي، او خضيرالزيدي بوصفهما الاكثر حضورا في البحث، وقد فات الباحث ان يدرس اللغة ، او تقنيات التعبير في الخطاب الاجتماعي الوارد في كتابه الذيفي أصله دراسة ماجستير في احدى جامعات العراق، والمطبوع في 2020 في بغداد، في دار أحمد المالكي.

المصدر

1 - السرد والحياة قراءة سوسيوثقافية للرواية العراقية في ذي قار، محمد حاجم، منشورات أحمد المالكي، 2020م، ط1: 19.

[7] نفسه: 136.
[8] السرد والحياة: 225.

مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (3) January 2022 العدد (3) يناير 2022

Reference

1- Narration and life, a sociocultural reading of the Iraqi novel in Dhi Qar, Muhammad Hajim, Ahmad al-Maliki publications, 2020 CE, ed 1: 19.